الحاضارة في لفظ العدد ٥٥ آذار ١٩٦٤

الفنان

عاصم حافظ

Asim Hafiz

لطيف كالسحاب ،
وكالمطر نقاوة . عباراته مثيرة كنضح الليمون .
لا يقول عبارتين إلا لتكون الثالثة مثلا جارياً ، او بيتاً من الزهيريات التي احبها كما احب فنه ، وكما احب الشمس في بلاده ، وكما احب ابناءه.
ابناؤه يعدون بالعشرات ، من جيلين اثنين ، تراهم معلقين على الجدران في غرفات البيت الانيق ، الذي يستقبلك بحديقة منسقة في غير اسراف بالوزيرية !
الحياة في نظره معرفة مطلقة . تجربة كبيرة تمتد خيوطها طولا وعرضاً كأنها ابعاد لا نهائية . وهو ، في سن الثمانين تقريباً ، ويشعر انه اخذ من الحياة اكثر مما اعطاها . وربما شعر بانه اخذ منها اكثر مما يحق للانسان الفنان ان يأخذ . لكنه ، الى ذلك ، يشعر بالحرص على الحياة شعوراً يقف به على قدميه بارادة شابة . ليس حرصاً على ليل الحياة ونهارها ، بل انها حرصاً على المعرفة التي فتن من اجلها بالحياة .
وهذا هو ، بعد ان شبع من غمس الفرشاة باللون ، يدلو دلوه اليوم في لون جديد من المعرفة : اللغة الالمانية .
اذن فهو يتكلم العربية والانكليزية والتركية والفرنسية والالمانية .
رجل يهوى الادب واللغة والشعر والرسم ـ احساساً طبيعياً بالجمال والزينة . في بيته مكتبة تضم مجموعة طيبة من الكتب الادبية وكتب التاريخ والسيرة والتراجم . له نظم وله زهيريات :

دنياك تهوى الاناذل من ثمود وعاد
والزين فيها همل ما يذكر اسمه عاد
چنه نذم المضى والحال ليتـه عاد

عاصم حافظ ، الفنان الرسام ، رائد من رواد الرسم في العراق ملد كان العراق تحت ظل السيطرة العثمانية .
واحد من جيل الفنانين الذين كانت ريشتهم تهتز بصفة خاصة لمشاهد الطبيعة : ضفاف الانهر ، الغروب ، العرائش ، سلال الفاكهة وبطبخ الملوك . .
كلاسيكي . وكما كان من قبل ستين سنة ، هو اليوم فنان مشرب بالكلاسيكية في لوحاته ، وفي ذوقه الادبي ، وفي مزاجه التربوي .
غيرانه الآن عضو في جمعية الفنانين العراقيين ، الجمعية التي تضم جماعة الفن الحديث ـ الشيء الوحيد الذي لم يفكر عاصم حافظ في الدلو فيه ! هؤلاء خصوم . « انني لا اراهم يجهدون انفسهم فحسب ، بل لقد اجهدوا الآخرين ! »
اتجه الى الرسم في صباه .
ان اعمال الضابط ومسؤولياته الكثيرة لم تحل بينه وبين الريشة . كان يحمل علبة الدهان في كل يوم وينطلق الى البساتين لينقل من مشاهدها ما يتحرك لموجدانه اليقظ على لوحة تستقر فيما بعد على جدران « غرفة الخطار » .
وفي باريس ، درس قوانين المنظور وتعلم كيمياء اللون على استاذه الفرنسي انطوان رينولد . وبه وباستاذه التركي علي رضا بك ، تأثر تأثراً استمر به الى يومه هذا .
تراه يرسم كل شيء إلا ما كان ذا روح . . بامكانك ان تشاهد من لوحاته ما يعجبك اشد العجب ويستولي على فطنتك . . لوحات مائية واخرى زيتية تنبثك عن ريشة تفنى في الكلاسيك . بل تحيا فيه !
باريس ، روما ، بون ، برلين ، وعشرات من امهات المدن الاوربية عرفت الفنان عاصم وعرفت فنه العراقي الشرقي .
حياة كدودة ناشطة ابداً .
فبعد خدمة في الجيش لاثني عشر عاماً ، في غمرة الحوادث والعرق ، غادر الى التدريس في المدارس الثانوية ليواجه الرسم رسمياً !
ليس الرسم فحسب ، بل اللغة العربية والفرنسية ايضاً . وصار مديراً للثانوية المركزية .
وتقاعد نفسه من ثم !